

شرح الأربعين نوية

الحديث الثامن والعشرون .

[عن أبي نجیح العریاض بن ساریة رضی الله تعالی عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة] رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وفي بعض طرق هذا الحديث : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال [لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك] قوله : موعظة بليغة : يعني بلغت إلينا وأثرت في قلوبنا ووجلّت منها القلوب : أي خافت وذرفت منها العيون : كأنه قام مقام تخويف ووعيد وقوله [أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة] يعني لولاة الأمور [وإن تأمر عليكم عبد] وفي بعض الروايات [عبد حبشي] .

قال بعض العلماء : العبد لا يكون واليا ولكن ضرب به المثل على التقدير وإن لم يكن كقوله A [من بنى مسجدًا كمفحص قطاة بنى الله بيتًا في الجنة] ومفحص قطاة لا يكون مسجدًا ولكن الأمثال يأتي فيها مثل ذلك .

ويحتمل أن النبي A أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله حتى توضع الولاية في العبيد فإذا كانت فاسمعوها وأطيعوها تغلبوا لأهون الضررين وهو الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته لئلا يفضي إلى فتنة عظيمة وقوله [وإنه من يعش منكم بعدى فسيري اختلافًا كثيرًا] هذا من بعض معجزاته A : أخبر أصحابه بما يكون بعده من الاختلاف وغلبة المنكر وقد كان عالما به على التفصيل ولم يكن بينه لكل أحد إنما حذر منه على العموم وقد بين ذلك لبعض الآحاد كحذيفة وأبي هريرة وهو دليل على عظم محلهما ومنزلتهما .

وقوله [فعليكم بسنتي] السنة الطريقة القويمة التي تجرى على السنن وهو السبيل الواضح [وسنة الخلفاء الراشدين المهديين] يعني الذين شملهم الهدى وهم الأربعة بالإجماع : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي B هما أجمعين وأمر A بالثبات على سنة الخلفاء الراشدين لأمرين أحدهما : التقليد لمن عجز عن النظر والثاني : الترجيح لما ذهبوا إليه عند اختلاف الصحابة .

وقوله [وإياكم ومحدثات الأمور] أعلم أن المحدث على قسمين : محدث ليس له أصل في

الشريةة ففها باطل مضموم ومحدث بحمل النظر على النظر ففها ليس بمضموم لأن لفظ (المحدث) ولفظ (البدعة) لا يذمان لمجرد الإسم بل لمعنى المخالفة للسنة والداعى إلى الضلالة ولا يذم ذلك مطلقا فقد قال الله تعالى : { ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث } وقال عمرB : نعمت البدعة هذه يعنى التراوىح وأما النواجد ففهى آخر الأضراس والله أعلم